

صوت الضمير



بقلم: د. محمود أبو العزائم

رئيس التحرير

أكون قريباً من الله وأن أريح أهلي لأنني أعرف أنهم يحبونني ولكن طريقتهم في المحبة هي التي تؤلمني وتسبب نفوري منهم... النقد المستمر... التأنيب والتوجيه المستمر والمقارنة المستمرة مع أختي المتفوقة في الدراسة... كلمة ذاكر كلما جلست معهم... أنا نفسي أبطل التدخين وأنا أتعاطي البرشام علشان أستطيع التحكم في انفعالاتي معهم وأستحمل النقد والتوجيه والإهانة وحتى النقاش معهم... أنا كرهت الإهانة وكرهت التوجيه وكرهت كلمة ذاكر... ونفسي أكون إنساناً ناجحاً يعتمد على نفسه بدون تدخل من الأسرة وأنا كنت ناوي أنظم وقتي وأرجع للمذاكرة والصلاة بس هما يبدؤا الأول ويبطلوا التدخل في أموري الشخصية والنقد المستمر

● وجه له سؤالاً مباشراً... هل تعرف ما هي مشكلتك الحالية... إن مشكلتك تتلخص في كلمة واحدة هي صوت الضمير الذي يؤنبك باستمرار وترغب في الهروب منه بتغيب عقلك بالأقراص والتعاطي... إن ضميرك الذي غرسه الله فيك هو الذي يؤنبك باستمرار ويجعلك في حالة من التوتر والإحباط ومحاولة الهروب، أن الضمير هو مجموعة المبادئ والقيم التي غرسها الله في الإنسان والتي ينمىها الآباء بغرس الدين في نفوس أبنائهم... وعندما يغيب الضمير تملأ الفراغ وتستهلك الحرمات.. إنك تستطيع أن تهرب من ضميرك بعض الوقت ولكنك لا تستطيع أن تهرب منه باستمرار. إن صوت والدك وهو يدعوك للهداية والرجوع للحق وصوت والدتك وهي ترجوك أن تذاكر وأن تصلي هو صوت ضميرك الذي حاولت الهروب منه باستمرار والذي يهرب منه الشباب بالإدمان حتى يستريحوا من عناء الاجتهاد والكفاح بالذلة القريبة والهروب المحبط. أرجع إلى صوت ضميرك الذي غرسه الله فيك تستريح في حياتك الدنيا وتقال الأجر والثواب العظيم يوم الدين. وكانت لنا معاً رحلة علاج - تشارك فيها الأسرة - أرجو من الله أن تنتهي بالشفاء التام والرجوع إلى طريق الهداية... الطريق المستقيم

كنت أتألم أحياناً من منظره وهو سهران ينتظر عودتي في آخر الليل ولكنني كنت لا أطيق كلامه ولا توجيهاته... لقد مللت من كلمة يا ابني ذاكر - السنة حاضيع عليك... إحنا كنا زمان نحترم آبائنا ونسمع أوامرهم ونقبل أيديهم... لقد مللت من هذه الاسطوانة المشروخة...

● تدخلت الأم وطلبت من الابن أن يوقف هز رجله أثناء الحديث وأن يركز في الكلام حتى يستفيد من وقت الكشف وبدأت توجه له النصائح بأن يختصر في الكلام حتى لا يضيع وقت الطبيب.

● رد الابن بانفعال... يا دكتور أمي دائماً توجه لي النصائح بصفة مستمرة وعندما نتكلم في موضوع هام أجد أنها لا تشعر بأحاسيسي ويكون كل اهتمامها بدرجة ارتفاع صوتي أثناء الكلام أو طريقة تعبيرتي وحركة يدي ورجلي ولكنها لا تهتم بشعوري وأحاسيسي ولا تتفهم موقفي ويكون رأيها دائماً سطحيًا وعاطفيًا وينتهي الحوار بيننا دائماً بكلمة يا ابني حرام عليك تعبني... وتبكي

● وبالفعل بدأت الأم في البكاء بعد أن وجهت للابن عبارات التأنيب وأنها تشك أنه يدخن ويتعاطى المخدرات والأقراص.. ورد الابن عليها بالإنكار وارتفعت حدة المناقشة وطلبت من الأم أن تقادر حجرة الكشف وأن تمكث في الاستراحة مع زوجها

●●●●

● هداً الابن قليلاً بعد مغادرة الأم وقال لي: شفت يا دكتور المعاملة والاتهام المستمر والنقد الذي لا ينتهي... مش عارف كيف أريحهم... اترك لهم البيت والدنيا علشان يستريحوا مني ومن مشاكلي ولا أعمل لهم إيه

● دق جرس التليفون وتعمدت أن أرد حتى يأخذ الابن بعض الوقت ويتحكم في انفعالاته ثم وجهت للابن سؤالاً مباشراً كم قرصاً من البرشام تتعاطاه يومياً... أنا أعلم من توترت وانفعالاتك ومن خلال خبراتي أنك تتعاطى عدة أقراص يومياً وأستطيع أن أساعدك في التخلص من هذه المشكلة إذا تصارحنا وساعدنا بعضنا البعض في التخلص من التعاطي ولكن فقط إذا كان لديك إرادة وعزيمة ورغبة صادقة

● وبدأت في سرد مشكلة الإدمان في المجتمع وأن هناك حوالي ٧٪ من الشباب في مصر يتعاطى المخدرات حسب إحصائية وزارة الصحة لسنة ٢٠١١ وأن من أهم أسباب التعاطي المشاكل النفسية والفراغ بسبب مشكلة البطالة وضعف الوازع الديني وسألت الشاب هل تصلي بانتظام

● أجاب أنا أصلي أحياناً ولكن بصورة غير منتظمة وأنا نفسي أرجع زي زمان أصلي وأن

جاء بتوصية من زميل لي يعمل في مجال التجارة لعرض مشكلة ابنه مع الأسرة وجلس الوالد في الاستراحة وترك الابن والأم ليستطيعوا الحديث بحرية بعيداً عن التوترات العائلية أثناء الكشف

● بادرت الشاب بالسؤال عن أحواله وما يشتكي منه ولكنه رد باقتضاب أنه لا يشتكي من أي شيء وأنه جاء تحت الإلحاح الشديد من الأسرة لزيارة الطبيب النفسي وأنه لا يجد أي داع أو مبرر للحضور حيث إنه يتمتع بكامل قواه العقلية ولا يشتكي من أي مشكلة ووجه للام نقداً مباشراً وطلب منها أن تشرح هي شكواها.

● وهنا تدخلت وشرحت للام بأن من يحضر لعيادة الطبيب النفسي ليس معناه أنه يعاني من مرض عقلي ولكنه إنسان يعاني من مشاكل نفسية كما يعاني كل البشر في لحظة من لحظات الحياة من التوترات والمشاكل النفسية وأن الإنسان الذكي والمتقف هو من يستغل الفرصة لكي يستطيع التغلب على المشاكل التي يعاني منها كل البشر لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَرٍ﴾ أي في معاناة وامتحانات مستمرة إلى يوم الدين.

● تدخلت الأم في الحديث وبدأت تشرح رحلة المعاناة التي تعانيتها الأسرة مع الابن طالب الهندسة في الجامعة الخاصة والذي أمضى عامين في نفس السنة الدراسية ولم يحضر الدراسة ولم يدخل الامتحانات وأنه دائم الشكوى من الأسرة وعلي علاقة سيئة بأبيه وأنه لا يستطيع أن يجري أي حوار مع والده بسبب شعوره بأن والده دائم النقد له ويرغب في السيطرة عليه وأنه يعامله بكل قسوة وديكتاتورية ودائماً يقارن تصرفاته بتصرفات أبناء عمه المتفوقين كما أن الابن دائم السهر خارج المنزل ويعود في أوقات متأخرة من الليل وأحياناً بعد الفجر وإذا عاتبه والده ارتفع صوته لدرجة أنه لا يتم أي حوار بينهما إلا وانتهى بالشجار والصراخ حتى أن والده ترك المنزل في الفترة الأخيرة حتى يتجنب الاحتكاك به وحتى يتيقن الفضيحة من الجيران بسبب ارتفاع الأصوات أثناء الحوار.

● قال الابن: إن والدي كان دائم القسوة على أشياء الطفولة وكان أي عمل أؤديه خطأ يكون الرد المباشر هو الضرب والتأنيب وتوجيه أسوأ الألفاظ مما جعلني دائماً في حالة نفور من أي حوار أو توجيه من الوالد لدرجة أنني بدأت في شرب السجائر عندما كان عمري ١٣ عاماً وبدأت أحب الخروج مع الشلة وأسهر خارج المنزل حتى أكون بعيداً عن هذا السجن اللعين وهذا السجن القاسي الذي يستمتع بعذاب الآخرين ولا يشعر بمعاناتهم بالرغم من أنني